



النشاط الثوري للمجاهدة فاطنة مصاطفة بالمنية

ط.د: جميلة يعيش

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

الملخص:

لقد اهتمت الكثير من الأقلام الوطنية والأجنبية بموضوع الثورة الجزائرية منذ اندلاعها إلى غاية نيل الاستقلال ولا زالت حتى الآن تتناول الموضوع من خلال ما يصلها من معلومات ووثائق جديدة، ورغم هذا الاهتمام إلا أن أغلب الكتابات التاريخية لم تعطي اهتمامها حيال موضوع مشاركة المرأة في الثورة التحريرية بالقدر الكافي خصوصاً بالجنوب الجزائري، أين وقفت جنباً إلى جنب مع أخيها الرجل في ذلك الوقت، رغم النظرة الدونية التي كان يرمقها بها المجتمع، ورغم مسؤوليتها العائلية المنوطة بها، والتي زادتها عزيمة على أن تتحمل مسؤولية أخرى على عاتقها، فكلت بأعمال تتجاوز طبيعتها البيولوجية وهي المشاركة في أعمال كثيرة لتحرير الوطن بطرق عدة. وفي إطار كتابة التاريخ المحلي وتسليط الضوء على جهود بعض المجاهدات بولاية المنية، أردنا أن نكتشف جوانب جهادية مهمة للمجاهدة الراحلة الحاجة مصاطفي فاطنة المعروف باسم (الحاجة الطوبية) وعن الأسباب التي دفعتها لذلك فهي تنتمي لبيئة صحراوية قلما كانت تتواجد المرأة خارج المنزل، وهي أرملة الشهيد حجاج عبد الرحمان بن أحمد الذي استشهد سنة 1960 بالبيض، وتم إلقاء القبض عليها وعذبت عذاباً شديداً.

فما هي الأسباب التي كانت وراء شاركتها في الثورة؟ وماذا تعلمت من زوجها الشهيد من مبادئ وطنية خدمة للثورة؟ وماهي المهام التي كلفت بها ؟
الكلمات المفتاحية: فاطنة مصاطفي، الشهيد حجاج عبد الرحمان بن أحمد، الثورة ، المنية.

مع التفاف الشعب الجزائري حول ثورته المباركة، مثلما قال شهيد الثورة العظيمة العربي بن مهيدي "ارموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب"، فعلاً احتضن الشعب ثورته رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً واحتضنوا كل العمليات والأوامر كيفما كانت في مختلف جهات الوطن، ومنه الجنوب الجزائري خصوصاً، أين برزت نساء انخرطن فيها مع بداية امتدادها إلى مدن الجنوب، ففي مدينة المنيعنة التحقن مجموعة من المجاهدات بالثورة التحريرية؛ ومن أبرزهن المجاهدة الراحلة فاطنة مصاطفي زوجة الشهيد عبد الرحمان بن أحمد حجاج¹ الذي استشهد في ظروف غامضة، وقد قيل بأن منظمة اليد الحمراء² الخبيثة اغتالته، وتعرف تحت

¹ - ولد الشهيد عبد الرحمان بن أحمد حجاج سنة 1900م، والده هو أحمد بن أحمد حجاج ووالدته هي مريم دويذة، ينتمي إلى عرش أولاد زيد، بدأ حياته الجهادية مع البدايات الأولى لانطلاق الثورة التحريرية واتصل بالمجاهدين بالمنيعنة وكان يقوم بجمع الامدادات والمؤونة للمجاهدين وجمع الاشتراكات، وبعدما علمت فرنسا بأمره زجت به في السجن، كانت لها اتصالات كبيرة مع مجاهدي المنطقة الثالثة بالبيض بالولاية الخامسة وتحديدًا ببريزينة وجبال كُسل، وأثناء مرور مجاهدي البيض كان يستقبلهم في منزله، وأحياناً بمزول عائلته بأولاد زيد، زجت به فرنسا عدة مرات في السجن، وبعد خروجه في آخر مرة منه التحق بقسمة المجاهدين بالبيض إلى غاية استشهاد ببريزينة سنة 1960م، وقد اختلفت في سبب وفاته فالمجاهد الفذ بوخشبة الطيب يرى بأنه استشهد مغدورا عن طريق منظمة اليد الحمراء. مقابلة مع المجاهد الطيب بوخشبة بمزله المولود خلال 1928م بالمنية، يوم 10 ديسمبر 2019 على الساعة العاشرة صباحاً بطريق الوحدة الافريقية بالمنيعنة. وهناك من يقول بأنه استشهد بإحدى المعارك بذات المنطقة المذكورة، تارك ورائه بنتان وولد. وآخر ما قاله لزوجته تذكر أنه كبر ثلاث مرات في بيته، ليتوجه بعد ذلك إلى بيت عائلته بحي أولاد زيد وبقي هناك ثلاثة أيام حتى التحق بالمجاهدين ببريزينة.

² - اليد الحمراء: منظمة إرهابية فرنسية عسكرية غامضة، بدأت بتنفيذ جرائمها بشمال افريقيا منذ 1950م، شملت العمليات التخريبية والاعتقالات وأنواع الشروع، أغلب أعمالها الإرهابية كانت بالجزائر، تضم عدد من غلاة المستوطنين، وهي مصلحة تابعة لجهاز الاستخبارات الفرنسية، وهي أيضا منظمة ذات وجهين، استطاعت أن توظف بعض من اشترت ذمتهم من الجزائريين ممن كانوا يدعون أنهم من الثوار، وفي الأساس كانوا يعملون لصالحها يتجسسون لصالحها ويغتلون رفقاءهم المخلصين والوطنيين من المجاهدين أثناء تواجدهم معهم. انظر:

Vincent Nouzille, Les tueurs de la République, assassinats et opérations spéciales des services secrets Paris, 2015, P345.

اسم (الحاجة الطوبة). وبدأت هذه المحاولة لمعرفة حياتها الجهادية وأنا أعني أتم الوعي نقص المصادر والمرويات عن هذه المجاهدة الكريمة، وأحاول اقتفاء آثارها في تاريخ ثورتنا المجيدة عدا بعض التفاصيل التي قدمتها لنا عن نفسها والمسجلة ولعلنا بهذا العمل نكون قد اقتربنا من توثيق تاريخ المجاهدة النضالي وانقاذه في دائرة النسيان.

-تاريخ ميلاد المجاهدة:

ولدت المجاهدة فاطنة مصاطفى بتاريخ 1932 بالمنيعة، وهي تنتمي إلى عرش أولاد زيد³ أب عن جد والدها هو الشيخ بن لمصطفى مصاطفى، وأمها هي الزهرة بلقندوز، ولها أربعة إخوة هم: جلول ومحمد وهما متوفيان وقدر ومبروك لا يزالان على قيد الحياة، ولها أختان وهن جمعة ومباركة.

ترعرت المجاهدة فاطنة مصاطفى في بيئة صحراوية، مند بداية ثلاثينيات القرن العشرين تميزت باستمرار الحكم العسكري المطبق على مدن

وكذا:ريمة دريدي، دور منظمة اليد الحمراء في اغتيال أصدقاء الثورة الجزائرية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،الجزائر،2019،ص 171.

وسبب تواجد الشهيد عبد الرحمان حجاج بن أحمد بالببيض هو ملاحقة المنظمة له، وكان في كل مرة يود أن يدخل المنية يتم اخباره بأن منزله به حراسة فرنسية، ما جعله يلتحق بالببيض، وقد تتبعته ولاحقته منظمة اليد الحمراء هناك وقبل أن تغتاله عذبتة بغية الحصول على معلومة منه حول الثورة ولم تنجح في الأمر، وذات المنظمة اغتلت ما يزيد عن أثنا عشر شهيد من المنية منذ 1957م، نذكر من بينهم: عبد الحاكم حمادي، سعيدات قادة، مولاي إبراهيم، وقد حاولت أربع مرات اغتيال المجاهد الطيب بوخشبة في الببيض واحدة منها حاولت اغتياله في فراشه ، ولكنها لم تنجح مما اضطره للعدة للمنية وغرداية ومواصلة الجهاد بها . مقابلة مقابلة مع المجاهد الطيب بوخشبة بمزله المولود خلال 1928م بالمنية، يوم 10 ديسمبر 2019 على الساعة العاشرة صباحاً بطريق الوحدة الافريقية بالمنية

³-عرش أولاد من بين أكبر أعراس المنية، يضم كل من قبيلة أولاد الحاج دحمان، وأولاد الحاج منصور فحسب الاحصائيات الفرنسية لسنة 1896م بلغ عددهم بالتقدير 308 فرد.

الجنوب، وهو الأمر الذي ترك آثاره على مختلف الأصعدة، إذ لم يكن بإمكانهم التعبير ورفع انشغالاتهم إلى الحكومة الفرنسية⁴. وقد ارتبط المستوى المعيشي وقتها بما وجد في محيط المكان من مصادر غذائية في البدو أو الحضر، وأهمها التمر والماء أو الحليب أو الشعير يتحصل عليه الفرد بعد تكبد مشاققة كبيرة، وقد عانى السكان من فترات جفاف متوالية ما بين سنوات 1942م (عام الجراد)، وعام الشر سنة 1945م، وهو عام القحط و المجاعة التي مست مدن عدة من الجنوب منها متليلي والمنيعية ومات فيها عدد كبير من السكان، يضاف إليها عام الجراد والغبار⁵، هذه الأوضاع المتردية جاءت بعد مرور مائة سنة على استعمار الجزائر، والسيطرة على خيراتها وتوجيهها لخدمة فرنسا والفرنسيين بالدرجة الأولى، في عدة قطاعات؛ كالزراعة والصناعة والتجارة الخارجية⁶.

وأثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها وجهت المنتجات الجزائرية إلى الخارج ليتغذى بها الأوروبيين والفرنسيين خاصة، على حساب الشعب الجزائري الذي عانى من سوء تدني مستوى المعيشة⁷، يضاف إلى كل ذلك أن فرنسا انتهجت عبر جواسيسها أسلوب الضغط والمراقبة على

⁴ -عبد الحميد مسعود بن ولهة، الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، ج1، دار صبحي للطباعة والنشر متليلي، الجزائر، 2013، ص45.

الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، ج1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي الجزائر، 2013، ص45.

⁵ -Caunielle,(A) Les Chaanba(Leur Nomadisme),Edition du Centre National de la Recherche Scientifique,Paris,1968. P290.

⁶ -العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، صص 17-19

⁷ -أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1992، ص 188.

القبائل المتمردة في كل مكان والتعرف على نواياهم الحقيقية، والتحكم في مصادر تغذيتهم خصوصاً القمح. بالمقابل لم تكن الحرب سهلة على الحكومة الفرنسية وألقت بنائجها على الجانب السياسي والاقتصادي يذكر بأن الحرب في الجزائر أصبحت عبئاً ثقيلاً على اقتصاديات البلاد إذ قدرت نفقات الحرب خلال عامي 1956-1957 بسبعمئة مليار فرنك ولا يدخل في ذلك التقدير حسب تصريح منديس فرنس في البرلمان الأضرار التي ترتبت على حرمان فرنسا من اليد العاملة⁸.

ولم تسلم الأوضاع الثقافية من التدهور والتدني وانتشار التجهيل بين مختلف شرائح المجتمع في نواحيه، يقول يرى الدكتور العربي الزبيري بأن نسبة 7% فقط من أبناء الجزائر كانت لهم فرصة التعليم وبعضهم لا يستطيع اكمال دراسته بسبب الفقر والاحتياج⁹.

وقد زادت الأوضاع العامة المتردية للبلاد، التركيز بالمقابل على أساليب خبيثة وإعلان الحرب تجاه الهوية العربية والإسلامية في شخصية المرأة، ومحاولة القضاء في مستنقع الجهل والبعد عن تعاليمها الإسلامية، إضافة إلى النظرة التمييزية للمرأة وخاصة مع أوائل القرن العشرين الميلادي، إذ سُدَّت أمامها كل السبل واحيطت بالجهل والخرافة حينها لم تتح لها الفرصة للالتحاق بالمدرسة، وكانوا يكتفون بتعليمها وتلقينها بعض قصار سور القرآن وتعليمها أركان الإسلام وقليلاً من أمور الحياة الزوجية لأنها ستدخلها في سن مبكرة جداً ما بين سن اثنا عشر و ثلاث عشر¹⁰ وهو

⁸ - صلاح العقاد، الجزائر المعاصرة، د.ن، د.ط، 1963-1964، ص96.

⁹ - العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 19.

¹⁰ - Paul-François (Passager), Metlili Des Chaamba, étude Historique Géographie et médicale, In Archive de l'institut pasteur D'algeri, T.xxxV.I,N⁰ 4, 1958. P 537

السن الذي تزوجت فيه المجاهدة مع زوجها الشهيد مع منتصف الاربعينات من القرن العشرين، وله من العمر حوالي 46 سنة، بحيث كان يتم الزواج في المجتمعات البدوية في أغلب الأحيان ما بين زوجين من نفس الفرقة أو العرش¹¹، واقتصار مشاركتها على انجاب وتربية الصغار، مع قيامها ببعض الاشغال اليدوية الحرفية كالنسيج وغزل الصوف، وجلب الماء والخطب وغيرها من الأعمال اليومية، وقد تعمدت فرنسا إبقاء المرأة جاهلة إذا ما أتاحت لها فرصة التعليم والت مدرس، وذلك لمكانتها والدور الذي تلعبه كمرية أحيال، وقد سمحت السلطات الفرنسية بتعليمهن بعض المهن الحرفية التقليدية على أيدي الأخوات البيض. مع أن جمعية المسلمين الجزائريين كانت تدعوا إلى ضرورة تعليم المرأة، ورفع حجاب الجهل عن عقلها¹²، رغم أننا نعتقد أن تأثير إصلاحات جمعية المسلمين الجزائريين لم يمتد إلى مدينة المنيعه بالشكل الذي يمكنه أن يحدث التغير أو التأثير على وضع المرأة.

وبعد تأسيس الولاية السادسة¹³ أكثر الاستعمار الفرنسي من السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب عبر كامل التراب الوطني، محاولا خنق الثورة

¹¹ -Jacques ruffie, étude hémotypologie des populations de la région de m'zab, In: Bulletin et mémoire de la société D'inpropologie de paris Tome 3, 1962. P 359.

⁸ -كوثر هاشم، الحياة الاجتماعية في الجزائر من خلال مجلة الشهاب الجزائرية (1927-1939)، شهادة ماستر جامعة الوادي، 2013-2014. ص 43.

¹³ - الولاية السادسة: منطقة الصحراء وهي حديثة التكوين تضم الجزء الشرقي من الجنوب، أسندت قيادتها في الأول إلى المنطقة الأولى نظراً للخصوصية الجغرافية المكشوفة أنشئت الولاية السادسة، عبر مراحل، بحيث جاءت بعد تمخض قرار عن مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م بإنشاء ولاية مستقلة لمنطقة الجنوب، تكون كمرکز للتموين بالسلاح، وقد ضمت المنطقة الثالثة كل من بوسعادة-مسعد-غرداية-متليلي-المنيعه-عين صالح بقيادة الضابط الثاني النقيب عبد

أكثر أو يدعمها ويساندها، فأوجدت في كل مدينة وقرية مركز تعذيب¹⁴ فعندما أصدرت القيادة الفرنسية العليا في سنة 1957 تعليماتها بإعدام كل من يلقي عليه القبض من المجاهدين، فقد سمح هذا الأمر بالدخول في مرحلة جديدة هي مرحلة التلاحم والتآزر على أوسع نطاق بين المناضلين، ومختلف شرائح المجتمع لإنجاز الأدوار والمهام الثورية¹⁵، وبناء جدار متين أمام القوة الفرنسية الضاربة التي حاولت اختراق النسيج ومكونات المجتمع لإضعاف الثورة. إن هذه الظروف المذكورة آنفا وغيرها، هي التي نشأت فيها المجاهدة، وهي الظروف التي جعلتها على أتم الاستعداد للقيام بأي دور ثوري ضد المستعمر إذا ما سمحت لها الفرصة بذلك.

-الأسباب وراء مشاركتها بالثورة التحريرية:

- لا شك أن المجاهدة قد تشبعت بمجموعة من المبادئ الوطنية عن طريق زوجها الشهيد عبد الرحمان، الذي كان يحدثها كما تقول عن الجهاد في سبيل الله، والتضحية بالنفس من أجل الاستقلال، تذكر المجاهدة بأنه في آخر مرة التقت به في بيتهم بوسط المدينة سنة 1960م، وسنقل ما قالت بالعامية "أنه كبر ثلاث مرات وقال أشهدي عليا يا ملايكة السماء ويا

الرحمان عبداوي وخلفه بعد استشهاده محمد شعباني في جوان 1959م. أنظر: سارة الباي، التموين خلال الثورة التحريرية 1956-1962 الولاية السادسة التاريخية أئموذجا، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2015-2016م، ص18. وكذا: عبد الحميد مسعود بن ولهة، المرجع السابق، ص318.

¹⁴ -جازية بكرادة، دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة 1954-1962، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017م، ص249.

¹⁵ -محمد الأشرف، الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، دار الفصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص379.

ملايكة الأرض أني ملي بصحي لا مال ولا خطا" ¹⁶ وحفظ الأمانة، خاصة وأنها تزوجته صغيرة ما جعلها تتأثر بأفكاره الثورية.

- تأثرها بالحياة الجهادية للمجاهدين، أثناء تواجدها هناك عند زوجها الشهيد بصحراء بريزينة ليرى ابنته ¹⁷ بعدما يتصل بها عدد منهم ببيتها بالمنيعه ويأخذونها ليلاً لتبقى في ذات المدينة عشرين يوماً ¹⁸، وقد ترك هذا الاتصال بالبادية وحياة المجاهدين هناك، فطاعت نفسها إلى المشاركة بالثورة منذ 1958م.

- إن مهمة تكليفها بجمع الاشتراكات للثورة كيفما كانت قيمتها، جعلتها تطلع أكثر على روح الالتفاف والتضامن الشعبي، وخاصة من طرف نساء المنطقة، وذلك نهاية الخمسينات.

- لقد كان لخبر استشهاد زوجها بريزينة أثر كبير على إصرارها لمواصلة العمل الثوري كمسبلة وتحملها لمسؤولية أخرى رغم خطورة الأمر فهي أم لثلاثة أطفال وفي أي لحظة يمكن أن يلقي عليها القبض أو تستشهد وتترك صغارها لوحدهم.

¹⁶-فاطنة مصاطفي، مقابلة يوم 18 سبتمبر 2015م، على الساعة العاشرة صباحاً، بمقر سكنها الكائن بوسط المدينة .

¹⁷-بريزينة: تقع واحة بريزينا على المنحدر الجنوبي لأطلس الصحراء عند درجة 33 و درجة 5- 30 شمالاً و 15 غرباً، وتقع على حافة وادي سقر، وتعني البر الزين، وتقع على الجهة الجنوبية لجبال عمور جنوب البيض.أنظر:

Leon Lehuraux, Le Sahara Ses Oasis, édition Baconnier, Alger, 1934, PP 156,157,158

تحاط واحة بريزينة بالجبال المحفوفة بالنخيل، أنظر: منى دهمون، قصر بوسمغون بولاية البيض (دراسة أنثارية تحليلية) رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص14. وقد شكلت أحد أهم الاستراتيجية في الثورة بالولاية الخامسة، حيث التحق بها الكثير من المجاهدين من متليلي والمنيعه، واستشهد بعضهم هناك.

¹⁸- فاطنة مصاطفي، مقابلة يوم 18 سبتمبر 2015م، على الساعة العاشرة صباحاً، بمقر سكنها الكائن بوسط المدينة.

ورغم ذلك واصلت عملها رفقة مجموعة من المجاهدات كلهن توفين، تذكر لنا من بينهن بنت بن خدة بنت الطرودي، بنت الحجاج، بنت بلكلحل، بنت حيمودة وغيرهن¹⁹.

-لقد أخذت المجاهد فاطنة مصاطفي من زوجها الشهيد عدة مبادئ وطنية، في الصبر وتقديم حب الوطن عن المصلحة الخاصة، وكنتم السر والأمانة، فهو بحسب قولها كان يوصيها بعدم البوح بأسرار المجاهدين الذين كانوا يعمرون عندها في البيت عند عدم تواجده به، لأخذ الاشتراكات والمؤونة، فهي تتذكر بانه في أحد الأيام اقترضت 2000 من مال الاشتراكات لغرض شراء معجنات لأبنائها بعد أن بقوا لمدة ثلاثة أيام دون أكل، فسألها عن مصدر المال فعندما أخبرته بالأمر استأ وانزعج كثيراً، ومنع أبنائه من أكل ما تم طبخه من مال الاشتراكات رغم بساطته، وتذكر أنه قال لها بالفرنسية "Service service camarade après"²⁰ هذه العبارة رغم بساطتها إلا أنها تشكل ارتكاز لكثير من القضايا في مختلف المجالات مهما كبر شأنها أو صغر، فالعمل له قداسته وخصوصيته ولا دخل للصدقة والعلاقات الخاصة فيه التي لها مكانها ووقتها، يجب أن لا تؤثر على مقومات العمل الثوري التحرري الجاد. وتضيف بأنه قال لها يجوعوا الأطفال ولا يأكلون من مال اشتراكات الثورة²¹. لقد كان حريصاً على حفظ أمانات المجاهدين بوجوده أو بعدم حضوره، حتى تسلم دون مشاكل.

-المهام التي كلفت بها:

19 - فاطنة مصاطفي، نفس المقابلة.

20 - فاطنة مصاطفي، مقابلة يوم 18 سبتمبر 2015م، على الساعة العاشرة صباحاً، بمقر سكنها الكائن

بوسط المدينة

21 - نفس اللقاء.

كان على المرأة في أغلب الأحيان إذا ما أرادت أن تلتحق بالثورة أن تجد خيط اتصال ويكون محل ثقة، إما أحد الأقارب أو المعارف، وتؤكد فاطنة مصاطفي أنها لم تجد مشكلة في ذلك، فقد ساعدها لزوجها الشهيد أن تلعب دور مسيلة بالثورة²²، منذ 1957م، تزور البيوت وتقنع النساء بضرورة الالتفاف حول الثورة، وتقديم المساعدات لها بحسب القدرة والوضع المادي، وتواصل المجاهدة سرد الأحداث التي تدور حول عملية قيامها بمهامها بحيث كانت تتحرك ليلاً تحت ضوء القمر إلى العائلات حتى لا تتم ملاحظتها، وتقرع أبوابهم قرعاً خفيفاً لأنها تخاف جيرانهم خصوصاً الذين لا تعرفهم و لا تثق في انتماءاتهم، على أن تتحل بالسرية والتكتم، فتجمع ما تجمعها من هبات وبعضهن يبعن حليهن ومجوهراتهن أو يرهننها، ومنهن من تقدم القرب، والعقال، ومد الدقيق، والقاشية وغيرها، وحتى الدخيرة من رصاص وقنابل وتذكر بأن السيدة مباركة بن دومة كانت تساعدها في جمع السلاح، وعند جمعها كل ذلك تقوم بإخفائها في مكان لا يدعوا مجالاً للشك؛ إذ تخبئها في المراحيض التقليدية سواءً في بيتها أو مراحيض البساتين المهجورة، وبعد ثلاثة أيام أو أربعة يأتي أثنان أو ثلاثة من المجاهدين المكلفين بالمهمة لأخذ الأموال والمؤونة إلى الشوار بالبيض²³

²²-المرأة المسيلة هي مواطنة غير متفرغة للقتال، تقوم بأعمال اليومية، وفي نفس الوقت تقوم بأعمال لصالح جيش التحرير الوطني من طبخ، وخياطة، ملابس للمجاهدين والقيام بمهمة إيصال الرسائل وجمع الاشتراكات والمؤونة والسلاح، ويشترط أن تكون ذات سيرة وأخلاق حميدة، وتتصف بالزاهة والعفة والصبر وكنم الأسرار والأخبار، والاتصال بين الشعب والفدائيين، وحراسة المجاهدين وتأمين احتياقاتهم. وقد برهنت النسوة اللواتي كلفن بالمهمة على قدرتهن وكفاءتهن على أدائها. أنظر: جازية بكرادة، المرجع السابق، ص57.

²³-البيض: يعود أصل الكلمة مأخوذة من صفة البياض نسبة إلى المكان ذي التربة البيضاء الذي شيدت عليه المدينة، وهناك رواية أخرى أن تسمية البيض تعود لشهرتها بالثلوج، فمصدر تسميتها يعود لطبيعة المكان التضاريسية أو المناخية، وعند تشييد الأوربين لمبانيهم أطلقوا عليها تسمية "البي

ووقد مرت مدة من الزمن دون أن تكتشف فرنسا الأمر وتؤكد فاطنة مصاطفي على أن عملها كمسبلة في سبيل الوطن كان من أنبل أعمالها فهي من أجل القضية الوطنية المقدسة، رغم المخاطر المحفوفة به، وقد كانت فرنسا تتردد على مترلها للتجسس عليه وتتبع أثاره وتحركاته وكثيراً ما تضع في مكان فراشه أكياساً من الصوف وتخبرهم بأنه هنا في المدينة وبأنه نائم ومريض لا يستطيع الحركة، في هذه الظروف واصلت عملها إلى غاية وصول خبر استشهاد زوجها بجريفييل، عن طريق مجموعة من مجاهدي البيض، وفي مصابها نجدها تتحلى بالجلد والشجاعة والصبر وطلبوا منها صورة له فأعطتهم مرادهم ورجعوا من حيث أتوا.

كانت لا تكل ولا تمل من جمع الاشتراكات بل وتدعو النساء إلى خياطة ملابس للمجاهدين من بينهن لشرط خديجة وعلان مريم وبيتور زهرة، وتتم عملية الاتصال وأخذ القماش لمن ليلاً، وخياطة علم الجزائر ونتيجة لذلك ألفت السلطات الفرنسية القبض عليها سنة 1961م بعدما داهمت بيتها واستولت على بعض وثائق المجاهدين، وسجنها "بديار حمة الشايش" بالقرب من مقر المحكمة، وبعدما وصل خبر اعتقالها إلى مجاهدي المنيع فر العديد منهم إلى جهات عدة منهم المجاهد سي زهار وسي

فيل "Lignyville"، ثم جاء الكولونيل "جيري" لأول مرة على رأس عسكر فرنسا سنة 1854م، بحيث أنشأ سنة 1852م مركز عسكري هـ = سميت بعد ذلك المدينة باسم "جيري فيل"، تقع المدينة جنوب وهران، تنتمي البيض إلى سلسلة جبال عمور التي يحتضنها جبل كسال، تتميز بمناخ قارس شتاء مع تساقط الثلوج. أنظر:

-Daumas (Eugène),le Sahara algérien,études géographiques, statistiques et historiques on sur la région au sud des établissements français en Algérie ,langois et leclercq,Paris ,1845 .P221-222

وكذا: مني دحمون، المرجع السابق، ص 13.

بحوص وأولاد الحاج إبراهيم والحاج زرقاط...؛ ظناً منهم أنها ستكشفهم للمستعمر وستلاحقهم عناصر اليد الحمراء الإرهابية، وخلال إلقاء القبض عليها حاول المكلفين بالتعذيب والاستنطاق بكل الوسائل استنطاقها وافتكاك أي معلومة عن الثورة والمجاهدين وعن علاقتها بهم، ومع من كانت تتعامل، وتم اعتقالها مدة أربع وعشرين ساعة (24) وكانوا ينتظرون اعترافها لتنقل بعد ذلك إلى سجن الملحق العسكرية قرب مقر الدائرة، لكنها استطاعت الصمود خلال مرحلة الاستنطاق حتى اثار جنون الفرنسي الذي تصفه بأنه كان قصير القامة يظهر عليه الحقد والكراهة للشوار، عندما رأى صمودها أمام تعذيبه لها رفع قبضة بندقيته وأصابها تحت إبطها، تذكر أنها من شدة الضربة أغمي عليها وسالت الدماء منها بغزارة، وخوفاً أن تتوفي تحت التعذيب أخذوها ورموها أمام المستشفى، وهي الضربة التي جعلتها تتخلص من تعذيبهم لها.

تواصلت عملية مراقبة مترتها بالتناوب ليلاً نهاراً بين الجنود الفرنسيين، ما أثار الرعب في قلوب صغارها وسبب لها الأمر ضغطاً نفسياً، فرغم ادراكها للخطورة وقيمة دورها داخل الثورة واصلت عملها كمسبلة أكثر من ذي قبل مع تزايد التفاف السكان بالثورة، إلى نيل الاستقلال أين تم استدعاؤها رفقة بعض مجاهدات المنطقة للعاصمة للاحتفال الرسمي بالاستقلال، وتم استقبالهم من طرف بعض المنظمين وزرن خلال ذلك بعض مراكز التعذيب والسجون بالعاصمة²⁴. واصلت عملها في التمريض كمساعدة قابلة والتطبيب، تذكر المجاهدة بعض أعمالها بعد الاستقلال منها: بذلت جهوداً لمساعدة تكوين الكثير من الفتيات من المنفعة على الكتابة بالألة الرافنة بورقلة، وساعدت بعضهن على التكوين كقابلات

²⁴ -مقابلة مع نفس المجاهدة.

بنفس الولاية، وحتى بعد الاستقلال بسنوات ظلت المرأة حبيسة نظرة المجتمع والعادات والتقاليد، فلم تكن مهمتها سهلة لإقناع الأباء بسفر بناتهن خارج المدينة، كما ظلت مناضلة بجهة التحرير الوطني، وعضوة ولائية وجهوية بالاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، شاركت في عدة ملتقيات ووطنية وجهوية حول المرأة، كانت لها لقاءات مع الرئيس الراحل هواري بومدين، وقد تحملت مسؤوليات إنسانية واجتماعية حيث أشرفت على مرافقة عملية ختان الأطفال والزواج بالإضافة إلى تغسيل الموتي ومساعدة المحتاجين والفقراء²⁵، إلى أن لقت مولاها ذات خريف من عام 2017م.

الخاتمة:

من خلال هذه المقالة التي اعتمدت فيها بنسبة كبيرة على شهادة إحدى مجاهدات المنطقة اللواتي لعبن دوراً بارزاً في الثورة التحريرية كمسبلة، بالمنطقة الثالثة بالولاية الخامسة التاريخية، مع نهاية الخمسينات من القرن العشرين ثم بالولاية السادسة بالمنطقة الثالثة، وقد تبين فيها الدور والمهام التي قامت بها المجاهدة فاطنة مصاطفي رفقة بعض المجاهدات من المنطقة؛ من أجل تحقيق اسمى الأهداف لقلضية: الوطن الكرامة الحرة؛ ثلاثية لا تعرف عمل جنس معين وإنما تذوب فيها الفوارق المختلفة، وصدق الشهيد العربي بن مهيدي حين قال ارموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب، فقد احتضنتها المجاهدة فاطنة مصاطفي وأتقنت الحفاظ على قيمها ومبادئها بكل اعتزاز وصبر، وتجلت من خلالها الأدوار الجهادية والنضالية التي أدتها المرأة المجاهدة بالجنوب، وساهمت في الذود عن الوطن والتخلص من المستعمر الفرنسي الذي اغتصب البلاد لأزيد من مائة وثلاثين سنة،

²⁵ - فاطنة مصاطفي ، نفس اللقاء.

مستغلاً خيراتها في جهات البلاد الأربعة، وأذاق فيها العباد كل أصناف الاستعباد والذل دون استثناء.

المصادر والمراجع:

- الأشرف محمد ، الأمة والمجتمع: تر. حنفي بن عيسى ، دار الفصبة للنشر، الجزائر، 2007.
- بكرادة جازية ، دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة 1954-1962 ، أطروحة دكتوراه، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2016-2017.
- بن ولحة عبد الحميد مسعود ، الجانب العسكري للثورة التحريرية بناحية غرداية إداريا وتنظيميا، ج1، دار صبحي للطباعة والنشر متليلي، الجزائر، 2013.
- دريدي ريم ، دور منظمة البد الحمراء في اغتيال أصدقاء الثورة الجزائرية، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر، 2019.
- هاشم كوثر، الحياة الاجتماعية في الجزائر من خلال مجلة الشهاب الجزائرية (1927 - 1939)، شهادة ماستر جامعة الوادي، 2013-2014.
- سارة الباي، التموين خلال الثورة التحريرية 1956-1962 الولاية السادسة التاريخية أنموذجاً جامعة محمد خيضر، بسكرة 2015-2016م.
- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1992.
- مقابلة مع بوخشبة الطيب المولود خلال 1928م بالمنية بمقره، يوم 10 ديسمبر 2019 على الساعة العاشرة صباحاً بطريق الوحدة الافريقية بالمنية.
- مصاطفي فاطنة ، مقابلة يوم 18 سبتمبر 2015م، على الساعة العاشرة صباحاً، بمقر سكانها الكائن بوسط المدينة .
- العقاد صلاح ، الجزائر المعاصرة، دن، د.ط، 1963-1964.
- الزيري العربي ، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزء الأول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.

-Caunielle,(A) Les Chaanba(Leur Nomadisme),Edition du Centre National de la Recherche Scientifique,Paris,1968.

-Daumas (Eugène),le Sahara algérien,études géographiques, statistiques et historiques on sur la région au sud des établissements français en Algérie ,langois et leclercq,Paris ,1845 .

-Passager Paul-François ,Metlili Des Chaamba, étude Historique Géographie et médicale, In Archive de l'institut pasteur D'algeri,T.xxxV.I,N⁰ 4,1958.

- Ruffie Jacques, étude hémotypologie des populations de la région de m'zab, In: Bulletin et mémoire de la société D'inpropologie de paris Tome 3, 1962.
- Vincent Nouzille,Les tueurs de la République,assassinats et opérations spéciales des services secrets Paris,2015.